الإحيائية والأصولية : مخاوف المعصية وهموم الواجب

رضوان السيد *

أولاً: خوفُ المعصية ومقتضيات التوبة

جاء في تاريخ الطبري (2/500)، وأنساب الأشراف للبلاذُري (5/204-205) أنه في العام 65هـ، وبعد وفاة يزيد بن معاوية؛ فإنّ شيعة عليٍ بالكوفة (فزعوا إلى خمسةِ نفرٍ من رؤوسهم: سليمان بن صُرَد الخُزاعي، والمسيّب بن نَجَبَة، وعبد الله بن سعد بن نُفيل، وعبد الله بن وال، ورفاعة بن شدّاد..)؛ اجتمع هؤلاء يستحثّهم ويُقضُّ مضاجعَهم الإحساسُ بالذنب لضياع الإمام الحُسين الذي جاء عام 61هـ إلى الكوفة مستنصراً بهم على الأمويين، فخُذل وقُتل. لقد كان هؤلاء يبحثون عن سبيلٍ للتوبة مما ارتكبوهُ بالثأر للحسين من قتلته. قال لهم سليمان بن صُرَد بحسب الطبري: ألا فانهضوا فقد سخط ربُّكُم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأنباء حتّى يرضى الله. والله ما أظنُّه راضياً دون أن تُناجزوا مَنْ قتل الحُسين أو تَبيروا.. كونوا كالألى من بني إسرائيل إذ قال لهم ربُّهم (إنكم ظلمتم أنفُسَكم عند بارئكم)(البقرة: 54). فـ(لا توبة دون قَتْل قاتليه أو قتلهم (قتل التوّابين) حتّى تَفْنى على ذلك أرواحُهُمْ). وهكذا فإنّ هؤلاء إنما كانوا يلتمسون أقبلوا على قتْل أنفسهِمْ توبة من عبادتهم العجْل. وهذا الإحساسُ بالذنب، حاضرٌ بقوةٍ في نفوس وتصرفات الكثيرين من الأُصوليين المتشدّدين، حتّى ليوشكُ الأمْرُ أن يكونَ دافعاً قوياً جداً للسلوك انطلاقاً منه، أو استناداً إليه. لكنّ المسألة لدى بني إسرائيل كانت واضحة من وجهة نظرهم على الأقلّ؛ فقد اكتشفوا بشكلٍ صاعق كيف وقعوا بسهولةٍ في عبادة العجْل بمجرَّد مغادرة موسى لهم إلى (ميعاد ربِّه). وكذلك الأمْرُ مع (التوّابين) حيث لم يخرجوا تلبية لنداء الحُسين. وربما كان بين أولئك الخمسة مَنْ بايعهُ كتابة أو سرًّا بعد وصول رسوله مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى مدينة الكوفة. أمّا في الأصوليات الإسلامية المُعاصرة فالأمر ليس على نفس القدْر من الوضوح. ذلك أنّ معظم هؤلاء من الشبّان الذين لم يرتكبوا معاصيَ أو كبائر من قبل غالباً. لكنّ الأزمة في الأزمنة الحديثة، وفي الوعي قبل التصرُّف، كانت من الشدَّة، بحيث أقبل كثيرون على العقائد المتطرفة أو التصرُّفات المتشددة أو الأمرين معاً. فالذي يظهَرُ في تصريحات وكتابات متشدّدي السبعينات، أنّ هؤلاء كان يدفعُهُم لاعتناق العقائد المتطرفة أو السلوكات المتطرفة، الشعورُ بالإثم؛ إزاء ما يعتبرونه جاهلية جَهْلاء استولتْ على عالم الإسلام من طريق الضلال المسيطر في العالم الحديث، أو من طريق الأعراف الموروثة، والتي اعتبروها متساهلة أخلاقياً أو منحرفة عن سُبُل الحقّ والاستقامة والصواب. وهذا الإحساس يرقى إلى مستوى الرمز، الذي يستولي ولا يمكنُ الخلاصُ منه

بسهولة. ويستطيع الذي يتملكَهُ هذا الإحساس أن يذكر أسباباً له فيما يراه من حوله من (مفاسد) من وجهة نظره. ولهذا الإحساس، ولتلك الحالة،وجوهٌ متعدِّدةٌ، لدى فئاتٍ شتّى من الإحيائيين والأصوليين في اليهودية والبروتستانتية والإسلام. هناك الإحساسُ بالإثم، والذي قد يدفعُ باتجاه الخروج من العالم الآثم بالعُزْلة الشديدة، على المستوى الفردي، أو بالانسحاب من المجتمع على المستوى الجماعي، وهذه صيغةٌ من صيَغ التوبة. وتتمثّل حالةٌ كهذه في مثل قوله تعالى: (عليكم أنفُسَكُم لا يضُرُّكُم مَنْ ضلّ إذا اهتديتم)(المائدة: 120). وقد ذكر بعضُ من استولى عليهم هذا الشعور بالذنب أنهم لم يستطيعوا منه فكاكاً إلّا بمفارقة الأهل والأصحاب، والتفرغ لعبادة الله وأداء شعائره بعيداً عن المجتمع الظالم لنفسه، والذي تستحيل معه وفيه العبادةُ الخالصة. والانعزالُ الفرديُّ قد يكونُ شعورياً لكنْ إذا استولى شيءٌ منه على مجموعةٍ؛ فإنه يقتضي الخروجَ من المحيط بالجسد وليس بالشعور وحسْب (وهذا ما ذكره كثيرون من الإنجيليين الجدد، وما فعله (المنعزلون شعورياً) في مصر الستينات والسبعينات). على أنّ الإحساس بالإثْم، يمكن أن يتخَّذ سمة الغَضَب. والتوبة في هذه الحالة، إمّا بمُصادمة الباطل حتّى الاستشهاد، أو الانتقام والثأر من الجاهلية والجاهليين (أنظر مراجعة كتاب جيل كيبيل: يوم الله، في هذا العدد من مجلة التسامح). وفي هاتين الحالتين أو الوجهين لحالة الغضب، تُصبح ممارسةُ العنف تطهيراً ذاتياً. وقد عرف مسلمو القرن التاسع عشر، في الجهات التي بدأ يسيطر فيها الاستعمار كالهند والجزائر هذين الوجهين أو المتنفَّسَين للشعور بالإثم: الانعزال، والهجرة فالاصطدام. في حال الانعزال ذهب التائبون إلى الأرياف واستقروا فيها، أو (هاجروا) من دار الكفر إلى دار الإسلام. وفي حال الغضب عمدوا لمقاتلة المستعمرين لاستعادة طُهر دار الإسلام، وانتهوا غالباً بالاستشهاد. وقد حدث الأمْران معاً أحياناً إنما في نَواحٍ شتّى من الهند والجزائر (الهجرة ثلاث مرات من الهند باتجاه أفغانستان- واصطدام الطريقة القادرية بزعامة الأمير عبد القادر بالفرنسيين الذين غزَوا الجزائر عام 1830). وهناك طريقٌ ثالثةٌ عرفها وسلكها ذوو الإحساس بالإثْم لانحسار الدين والخير من المجتمع، هي طريقُ الدعوة والتبليغ، لاستعادة الخير والبرّ بأساليب سلمية وجذّابة. وقد سلكت هذه الطريق عشرات الجماعات والجمعيات لدى البروتستانت، ومنذ القرن التاسع عشر. ويشهد العالمُ منذ عقدين انطلاقة قوية للتبشير بإحدى الكنائس البروتستانتية على يد أُناسٍ نذروا أنفُسَهُم لهذا الغرض، أتَوا للمشرق، أو ذهبوا إلى شرق أوروبا، وأميركا اللاتينية. والمثَل على ذلك المجال الإسلامي (جماعة الدعوة والتبليغ) بالهند وباكستان. وفي هذه الحالات الثلاث: الانعزال، والغضب، والدعوة، يكونُ المحرِّكُ في العادة الخوف من المعصية، والخوف من العالم وعليه: (واتّقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذي ظلموا منكم خاصّة، واعلموا أنّ الله شديدُ العقاب)(الأنفال: 25). فالأصوليُّ في كُلّ الأحوال ينشأ ويتجذَّرُ لديه الإحساس أنه مسؤولٌ بالمعنى السلْبي عمّا يحدُث، وتكونُ الأضحوية أو التضحية بالنفس، نوعاً من التطهير. وقد بقيت هذه الحالات الثلاث حاضرةً ومسيطرةً في أوساط إحيائيي اليهود والبروتستانت. بمعنى أنّ هؤلاء لا يهتمُّ أكثرهم بالشأن العامّ وإدارته؛ وبالتالي لا يُصارعون على السلطة؛ بل يبحثون عن الخلاص الفردي، أو خَلاص الجماعة الصغيرة

التي يُخالجُها الإحساسُ بالإثم. وتجدُ من واجبها الانعزال أو التفرغ للدعوة، أو الاندفاع العنيف باتجاه الشهادة والاستشهاد.

إنما ما هي الإلماعاتُ وعواملُ التنبُّه للشعور بالإثم؟

هناك أمران: الوعي الواردُ أو المستجدّ نتيجة ورود غَلَبةٍ خارجية، أو ظواهر شاذّة بالجوار، والوعْيُ الآخرُ الناجمُ عن سيطرة ظواهر وأفكار وسلوكات بالداخل وتفشّي الإحساس بالعَجْز عن إزالة الباطل. ولا شكّ أنّ الأمر الثاني (الظواهر والغَلبة الداخلية) أبلغُ وأعمقُ في الاستثارة والاستنفار. ذلك أنّ الغزو الخارجيَّ، يمكن أن يكونَ هناك عُذْرٌ في العجز عن مواجهته إذا كان قاهراً وكثيفاً، شأن الإمبريالية الغربية بالهند والجزر الإندونيسية. كما أنّ الغزو الخارجيَّ يفرَضُ مواجهة شاملة بالجهاد، ولا يتوقّف الأمر على ذِوي الحساسية الفائقة. ومع ذلك فإنّ مقتضيات فرض الكفاية أنه إذا لم يُواجه المنكر أحدٌ، أثِمَ الجميع. ونحن نعلمُ من تاريخ مواجهة الاستعمار من جانب المسلمين بآسيا وإفريقيا أنّ الحركات الجهادية ما تحوّلت دائماً إلى حركاتٍ إحيائيةٍ أو أصولية. بينما كانت حركات (التوابين) الحاملة لأعباء الإثم والخوف من المعصية إذا جرى الكفّ عن المقاومة، حركات إحياءٍ وأصولية ومظلومية في غالب الأحيان؛ بمعنى أنها لا تقف عند حدود الحَدَث الذي كان الثوَرانُ من أجله أو أنه وقع في أصل ذلك الوعي بضرورة الاستنفار أياً تكُن المَخاطر. فأبلغُ ما يكونُ الشعورُ بالإثم إذا ظهر (الباطل) واستعلى بداخل الجماعة، بحيث يحسُّ الحسّاسون، وذوو التزمُّت والاستقامة المفرطة، أنهم مسؤولون بأشخاصهم عمّا نزل بالجماعة. وبذلك يكونُ التأخُّرُ عن المكافحة عجزاً أو انحرافاً أوجُبْناً، ووقوعاً في المعصية.

والمقصودُ من هذا التأكيد على تميُّز (الخطر الداخلي) عن الخطر الخارجي، أنَّ الأولَ يحدُثُ في (الوعي) وليس في الواقع. ولذلك يكونُ أعمق وأبقى وأكثر فعالية. ولأنه كذلك، أي يتم على مستوى الفهم والإدراك، الذي يخالفُ في أكثر الأحيان الإدراك العامّ للجماعة؛ يتخذ الشعورُ بالإثم سِمات الانشقاق، أي الخروج على العُرف السائد المُعتبر من جانب تلك القلّة فاسداً أو بدْعياً. وهو قد يفشل في تجلياته الأولى لمواجهة الأكثرية له، لكنه يخلّف إحساساً عميقاً بالظلم والانظلام، وضرورة تكرار التمرد والإستشهاد، لعُذْر النفس، والفوز الرمزي بالنجاة من أعباء المسؤولية من طريق التضحية الأضحوية. فسليمان بن صُرَد وزملاؤه، والذين خرجوا إلى عين الوردة لمواجهة جيوش الأمويين بقيادة عبيد الله بن زياد قاتل الحُسين، ما كان هدفهم الانتصار؛ وإن لم يأبَوا ذلك؛ بل كان في وعيهم أنّ المطلوبَ التكفير والتطهير من الإثم بالموت. وكذلك الأمر في أضحية إبراهيم -عليه السلام-، بدلاً من قتل ابنه إسماعيل؛ إذ كان سفْك دَمٍ في مقابل صَون الدم الآخر. فالتوبة والتعويض، يتضمّنان دائماً دماً مُهراقاً أو تضحياتٍ كبيرةٍ، تُبهظُ كاهل الجماعة، وقد تُحدثُ انشقاقاً فيها؛ لكنها في كل الأحوال تترك آثاراً عميقة في التاريخ والوعي، لا تكادُ تنقضي.

ثانياً: همومُ الواجب والنهوضَ به: وإذا كان الركن الرمزِي الأول للثورة في الوعي على الكائن هو الإحساسُ بالإثم وخوف المعصية؛ فإنّ الركن الثاني الذي يقترنُ بالأول وقد لا يقترن هو الإحساسُ بالواجب، أي النهوض بأعباء الدعوة ومسؤولياتها. وهذا معروفٌ ومشهودٌ في سائر ديانات التوحيد، وهو واضحٌ في الإسلام، ومآلُهُ القيامُ بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإذا كان الركنُ الأول للإحياء يتمثّل في الخوف من المعصية، ويحدُثُ غالباً في الوعي قبل الواقع؛ فإنّ الركنَ الثاني يحدُثُ في الواقع بالدرجة الأولى، ويترتّب عليه اتجاه غَلّاب للنهي عن المنكر الذي تفشّى أو ساد. وعلى الرغم من أنّ المنكر يحدُثُ بالفعل في الواقع، لكنّ آثارَهُ المباشرة تحدُثُ بالضرورة في الوعي، الذي يدفعُ للتصرُّف المُباشر. وفي العادة تكونُ حركاتُ النهي عن المنكر أعمَّ وأشمل من حركات الإحساس بالإثم، وخوف المعصية. وعلى أيّ حالٍ فإنّ مُواجهة (المنكر) واقعاً ووعياً فيها قدْرٌ من الإحساسِ بالإثم أو مخافة المعصية. ويذكر القرآنُ الكريم الأمرين معاً في قوله تعالى: (واتقوا فتنة لا تُصيبَنَّ الذين ظلموا منكم خاصّة، واعلموا أنّ الله شديد العقاب)(الأنفال: 25). فالمواجهة للمنكر ضرورية أو يحدُثُ انقسامٌ وفتنة، لا ينالان من (الذين ظَلموا) وحدهم، بل يتناولُ العقابُ أولئك (العُصاة) الذين تخاذلوا أو غفلوا أو أخرجوا أنْفُسَهم من حيّز المسؤولية. ولدينا هنا حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومَثَل السفينة، ذات الطبقتين، واللتين تشيرانِ إلى اختلاف المواقع والأدوار. لكنْ عندما يداهم الخَطَر جزءًا من الأمة؛ فإنَّ الجزءِ الآخر لا يستطيع القول إنّ ذلك لا يعنيه. فإذا أراد الذين في الطبقة الأولى من السفينة خرْقَها بغرض الاغتراف من ماء البحر؛ فإنّ أهل الطبقة الثانية سينالُهُم من الضرر ما أصاب أهل الطبقة الأولى، وسيغرقون جميعاً. ومن هنا فإنّ واجب النهي عن المنكر، مُتَأتٍّ من أنّ الضرر الواقعَ من السكوت عنه محسوسٌ وواقع. لكنه هو الأمر الذي يرفعُ تلك المسؤولية إلى مصافّ الواجب، باعتبار تنمية الإحساس بوحدة الجماعة وجوداً ومصائر. ولذا فإنّ هذا النوعَ من الحركات التصحيحية موجودٌ في مختلف حقَب التاريخ الإسلامي، كما أنه يمكن استطلاعه لدى أهل ديانات التوحيد الأُخرى. فالأمْرُ هنا لا يقتصر على الرقابة، بل يتناولُ إلى جانبِ: النهي عن المنكر (الرقابة)، واجب: الأمر بالمعروف. أي الدعوة لبدائل أُخرى، وليس قصْر الموضوع على النهْي أو القمع. ولذا فإنّ واجِبَ النهي والذي ينطلقُ من الإحساس بالخطر على الذات والجماعة؛ له جانبٌ آخَرُ متمثّل في فتحِ الآفاق على فُسحةٍ من المبادرة والخير. وهكذا فإنَّ الحركات الإحيائية كما تكونُ تصحيحية، يمكن أن تكونَ أيضاً إصلاحية. وفي الواقع؛ فإنّ الديانات التوحيدية الأخرى، وبعض الديانات الأسيوية تشهدُ الأمرين في العقود الأخيرة. وترجُّحُ هذا الجانب على ذاك، له علاقةٌ بالوعي في تلك الأمة أو الجماعة، وأيُّ إحساسٍ يغلبُ عليها وهل هو الإحساسُ بالخطر، أم الإحساسُ بضرورة المبادرة والتغيير.

إنّ حركاتِ الشعور بالإثم ومحاولة استنقاذ النفس من الوقوع في المعصية، هي حركاتٌ استشهاديةٌ أو حركاتُ تضحيةٍ بالنفس، وتُخَلِّفُ مرارةً على مَدَياتٍ طويلة. أمّا حركاتُ النهي عن المنكر، فهي أقلُّ توتُّراً ومأساوية، لكنها لا تتطلع إلى الأمام؛ بل تملكُ في الوعي

نموذجاً لما ينبغي إنكارُهُ والخروجُ عليه.وهذا المقياس موجودٌ في العادة في النصّ أو الماضي؛ ولذا فهي حركاتٌ تأصيلية تُصرُّ على عدم التجديد. ولا تقبل التغيير الذي تعتقدُهُ منكراً وابتداعاً. والواقعُ أنّ الإحيائيات والأصوليات في الإسلام المعاصر يكاد يغلبُ عليها وعْيُ الإثم أو وعْيُ سيطرة المنكر. فهي حركات تصحيحٍ وتأصيلٍ وضبطٍ، وليست حركات إصلاحٍ وتجديد. إنها حركاتُ الخوف على الهويةِ، والعمل على صَونها بشتَى الطُرُق والوسائل. ولأنها كذلك؛ فمن الطبيعي أن تُصادمَ كلَّ تغييرٍ لأنها تأباه. وبسبب نزعة التأصيل والتطهير القوية فيها؛ تُصارعُ التقليد أيضاً بحجة الرجوع إلى الأصل، الذي انحرف عنه حتّى التقليد أو العادات والأعراف. وهكذا فإنّ الحركات الإحيائية في الإسلام وغيره من الأديان إنما تظهر في أزمنة الأزمات، حيث يظهر وعيٌ حادٌّ بالأخطار التي تتهدد الجماعة في دينها ووجودها. وقد أدرك رسولُ الله -صلّى الله عليه وسلّم- وجوهَ الوعي التي قد تترتب على التصرف على أساسٍ منها أخطارٌ على الدين والأمة؛ فقال: (مَنْ رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعَفُ الإيمان). وهكذا أوضح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه لا يجوزُ السكوتُ على المنكر أو تجاهُل المفاسد والأخطار. بيد أنَّ المسؤولية ليست فردية، كما أنها لا ينبغي أن تتهدد الذات؛ إذ يجعلُ ذلك أداء الواجب مستحيلاً. ولذا فالتغيير كما يكون باليد عند المتمكّن، يكونُ باللسان، ويكونُ بالقلب، حسب القُدرة من جهة، والأهمية من جهةٍ ثانية.

فالمقصودُ أن يظلَّ أصلُ الواجب قائماً، لتظلَّ ثوابتُ الأمة محفوظة. ثم يكونُ هناك تدرُّجٌ في أدائه بحسب القدرة (الشخص أو الجهة)، وبحسب الأهمية؛ فلا تجوز التضحية بالنفسِ في أيّ حالٍ، أمّا الأضرار مادون ذلك فتُقاسُ عندها بضرورة الهدف الذي يُرادُ الوصول إليه. بيد أنّ ذلك كلّه يظلُّ واقعاً في باب (درء المفاسد). أمّا (جَلْبُ المصالح) فهو الجانبُ الآخَرُ والذي قدَّمه الله -سبحانه وتعالى- في القرآن، عندما قال: (تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر). وحركاتُ نشر المعروف، لا تختلف من حيث الوعي والدوافع عن حركات (النهي عن المنكر). لكنّ ذلك الوعي يكون قد وصل إلى درجة التأزُّم، فيصعُبُ معه أو يستحيل التفكير في المعروف والمستقبل، قبل القضاء على الشرّ! بيد أنه إذا كان التأزُّمُ خفيفاً، أو غلب الوعي بضرورة التحول إلى طريقِ التغيير والتطوير -وبحماسٍ ديني غلاّب -؛ فإنّ دعوة المعروف، تُصبحُ مثالاً- نموذجياً للخير الذي تريده الجماعة لنفسها وللعالم.

ثالثاً : في النتائج: ظهرت في الإسلام، كما في الديانات التوحيدية الأُخرى حركاتٌ إحيائيةٌ وأصوليةٌ تتفاوت من دينٍ لآخَر في الاتّساع والعنف والوعي والتصرُّف والتأثير. وتقعُ التياراتُ الإسلامية في طليعة الإحيائيات الدينية، التي تُعتبر حركات هوية، تُريدُ حفظ الانتماء، وتشعر بالخطر الشديد عليه، وتعتقد أنها إن لم تفعل تكونُ قد خانت دينَها أو تركتْه أو أهملتْ حقَّه، وأهملتْ واجبها تُجاهه. وليست كلّ الإحيائيات دليل أزمةٍ وتشقُّق؛ بل هناك إحيائياتٌ ضروريةٌ لبقاء الدين وبقاء الأمة وبقاء التماسُك والحركة في أزمنة الأخطار.

بيد أنّ الإحيائية الإسلامية مأزومة في شتّى المذاهب. لأنها تمتلك وعياً قوياً بأنّ الإسلام ليس بخير، وهو بخطرٍ شديد. ولذلك تسلك مسالك شتّى لاستعادة المجتمع إلى الإسلام، أو فرض سيطرة الإسلام (كما تراه) على المجتمع. ثم إنها تتجه للاصطدام بالخارج، الذي تعتبره خَطراً كبيراً على الدين. وهكذا فإنّها بهذا الإدراك المأزوم؛ تتجه لتضييق مفهوم الدين بحيث تُخرجُ منه كثرةً كاثرةً باسم الانحراف، وللتضييق في الدنيا، حيث تُعتبرُ المرجعية للشريعة وليس للجماعة. وتنطلقُ تلك الحركات في الأساس من الإحساس بالذنب، وضرورة أداء الواجب. وقد مرت أصولياتنا بمراحل متعددة، كانت منها المرحلة التي اتّسمت بالتوتر الشديد، وبالانتحاريات بالداخل والخارج. لكننا نتجاوزُ الآن هذه المرحلة ليصبح العنف أقلّ، وليُعاد ترتيب الأولويات، دون أن يعني ذلك التحول من التصحيح والتأصيل إلى الإصلاح. وهناك أملٌ كبيرٌ في أن تُعينَ تجاربُ ومعاناةُ العقود الماضية في الوصول إلى قناعاتٍ بالتغير من طريق المسالمة والحوار. بيد أنّ الأهمَّ تغيُّرُ الوعي باتجاه رؤيةٍ أُخرى للعالم، لا تعتبر أنّ الدين مهدَّد بل تدرك أنّ الخطر آتٍ من الجانب الدنيوي، وطرائق إدراكه وإدارته.

وفي النهاية ذكرَ مايكل كوك في كتابه الضخم: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام) أنّ رجلاً تعرض لامرأةٍ في محطةٍ للقطار وأنزل بها الأذى. وقد شاهده سبعةٌ ما تدخل أحدٌ منهم لمساعدة المرأة. بيد أنَّ واحداً منهم فقط، نبَّه البوليس بعد فرار الرجل فجرى القبضُ عليه. الذين لم يتدخلوا اختلفت تعليلاتهم من أنهم لم يدركوا ما يحصل إلى القول بأنه لا يعنيهم. أما الذي تدخل وإنْ متأخِّراً فقال: ربما تكون المرأة أُختي أو صديقة أمي..الخ. ويعلّق كوك إنّ هذه المواقف قاصرة حتّى على المستوى القانوني، فكيف بالمستوى الأخلاقي والديني. وهو يذهب إلى أنّ المسلمين ما يزالون يملِكون ذلك الإحساس بالمسؤولية. ولو كان بين المشاهدين للاعتداء على المرأة مُسلمان مَثلاً، لتدخَّل أحدُهُما للمساعدة، أمّا الذي لم يتدخل لأي سببٍ كان؛ فإنه سيشعُرُ بالخزْي والعار!

****

*) مفكر وأكاديمي من لبنان، ومستشار تحرير مجلة التسامح.